الأخلاق الإسلامية في المحافظة على البيئة:

نموذج جزيرة ميسالي بزنجبار

> كارا ولينسكي

هناك جزيرة هي الجنة، حيث نسائم المحيط تلطّف الحرارة الاستوائية، تلك هي جزيرة ميسالي في المحيط الهندي، وهي جوهرة عامرة بالتاريخ الإسلامي والجمال الطبيعي، وتقع على بُعد 10 كلم قبالة الساحل الشمالي لجزيرة بيمبا الزنجبارية، في القناة ما بين زنجبار وتنزانيا. وميسالي هي جزيرة صغيرة مساحتها كيلومترا مربعا واحدا. وبالرغم من أنها غير مأهولة بالسكان بسبب نقص المياه العذبة، فإنها كانت تاريخيا ميناءً هاما للصيد ومقصداً روحياً لأهالي بيمبا القرويين الذين يقيمون مخيمات مؤقتة في الجزيرة عند الصيد في مياهها. وفي الآونة الاخيرة، ترك كثير من أهالي ميسالي الحياة المرجانية حيث إن الشواطئ البكر جعلت الجزيرة وجهة جذابة للغواصين المحترفين ورواد الشواطئ.

شاطئ ميسالي
Misali beach

تفتخر مياه ميسالي بتوفرها على أعلى تغطية من الشعاب المرجانية في تنزانيا لما يزيد على 350 نوعا من الأسماك و 40 نوعا من المرجان الصلب. تحتوي الجزيرة على طائفة من الأنواع الحيوانية المتوطنة، بما فيها قرد بيمبا فيرفيت، طير الشمس، الثعلب الأبيض العين والثعلب الطيار، فضلاً عن الأنواع المهددة بالانقراض مثل السرطان والسلاحف البحرية التي تعشعش على شواطئ الجزيرة.

ومن المؤسف أن الموارد الطبيعية الفريدة والتنوع البيئي لجزيرة ميسالي قد أصبحا مهددين في السنوات الأخيرة. فالصيد غير المنظم والطرق المدمرة التي تستخدم فيه، مثل الديناميت والسموم وشباك الصيد الناعمة، دمرت الأسماك والشعب المرجانية الحساسة التي تدعمها. وقد أفردت الحكومة رسمياً منطقة حماية في عام 1998، لكن التشريعات لها تأثير محدود على استخدام الموارد.

وبتمويل من مؤسسة ماك آرثر، فإن منظمة كير الدولية في تنزانيا، وهي منظمة غير

غواصون بالقرب من مرجان على شكل دماغ
Divers near a brain coral

شعاب صخرية بحرية
Christmas reef

تكوينات صخرية
Rock formation

حقل
Mangroves

حكومية، قامت بإنشاء مشروع فريد لحماية الموارد الطبيعية لجزيرة ميسالي يضمن فوائد السياحة ويسخّر طاقات الأهالي المستمدة من تمسكهم الشديد بالإسلام.

جزيرة زنجبار كانت جزءا هاما من تجارة المحيط الهندي لقرون. والمزيج الفريد من الوجوه، والطعام، والمعتقدات الموجودة في الجزر اليوم، يعكس تاريخا من التلاقح الثقافي. ورغم أن زنجبار قد عرفت العديد من الحضارات، بما فيها الصينية والملاوية والاندونيسية، فإن الفرس والعرب هما اللذان حكما لفترة من الزمن، وظلا أقوى المؤثرات الثقافية. وجلب التجار العرب الإسلام معهم، والذي أصبح راسخاً منذ القرن الحادي عشر الميلادي.

وتعكس ميسالي أيضاً تاريخ جزيرة زنجبار الذي هو خليط من المعتقدات الأفريقية والإسلامية. وتستمد الجزيرة اسمها من كلمة "مصلا" الذي يعني "حصيرة الصلاة" باللغة السواحلية.

ميسالي أيضاً بمثابة موقع روحي للاستشفاء والتكهن منذ قرون. وهناك اعتقادات سابقة على الإسلام تقول إن الكهوف المرجانية في الجزيرة تسكنها الأرواح التي تكفل الصحة الجيدة وصيدا جيداً إذا ما تركت النذور أمامها. الأجيال الأقدم لا تزال تلتزم بهذه المعتقدات فتترك النذور أمام فتحات الكهوف والتي يمكن رؤيتها اليوم.

أدركت مؤسسة كير (العناية) أن القصص الروحية في الجزيرة والتزام الصيادين بالإسلام يمكن أن يوجها نحو حماية الموارد الطبيعية للجزيرة لتحسين نوعية حياة الصيادين. وقامت كير بتطوير مشروع ميسالي الأخلاقي الرامي إلى زيادة الوعي والتعريف بالأخلاق الإسلامية المحافظة، مما يجعل منها المنظمة الأولى في تنزانيا التي تروّج للحفاظ على البيئة من خلال المبادئ الإسلامية. وتطبع كير الملصقات والكتيبات وأشرطه الفيديو ومذكرات التدريب ومواد أخرى لمساعدة القادة الدينيين، والمدرسين والموظفين الحكوميين في خلق حماية (بيئية) إسلامية على المستوى المحلي. ويعتمد المشروع على آيات من القرآن الكريم التي فسرها علماء التفسير بأنها تعاليم أساسية عن الحماية، ومبادئ إسلامية أساسية، مثل التوحيد والمسؤلية والخلافة. ولما كان 99٪ من أهالي زنجبار من المسلمين، فإن نهج كير الإسلامي هو الأكثر فعالية بكثير من الأنظمة المفروضة من الخارج. وقال أحد الصيادين للإذاعة البريطانية مؤخرا إن "من السهل تجاهل الحكومة لكن لا أحد يستطيع تحدي شرع الله".

لزيادة الدخل وتحسين الأمن الغذائي لقرى الصيد في جزيرة بيمبا، فإن كير تقوم بتدريب الصيادين على العمل كمرشدين سياحيين لجزيرة ميسالي، من أجل تحسين توزيع المصادر المالية ذات الصلة بالسياحة، واستخدام الادخار والائتمان المحلي، ووضع نظام للادارة الجماعية لمجموعات الصيد، وتعليم أساليب الصيد المستدامة. وتشجّع هذه الاستراتيجيات الموارد المستدامة وتوفر للصيادين مصادر بديلة للدخل من خلال المزايا الاقتصادية للسياحة.

أصبح وضع استراتيجيات فعالة للحفاظ على البيئة أمراً خطيراً لوقف تدهور بيئة الكرة الأرضية اليوم، وثمة اعتراف متزايد بأن التغيير الدائم يعتمد على المشاركة الطويلة الأمد وفهم المجتمعات التي تجري المحافظة فيها. استخدام العقيدة الإسلامية في الحفاظ على البيئة في جزيرة ميسالي هو مثال رائع للكيفية التي يمكن بها استخدام المبادئ الأخلاقية المتأصلة في الإسلام لصنع اختيارات أفضل في التعامل مع بيئة كوكبنا ورخاء البشرية جمعاء. ■

سمكة ذات ظهر أسود وأنف مدبب
Black saddle sharp nosed puffer